أوائل المسلمين
٦
إسلام
سلمان الفارسى
بقلم
السيد شحاته

أوائل المسلمين

إسلام سلمان الفارسى

بقلم

السيد شحاته

نهضة مصر

للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العَالَمين ، والصَّلاةُ والسلامُ عَلَى المبْعوثِ رحمةً للعَالمينَ ، وعلى آله وصَحْبِهِ ، ومن اهتَدى بهدْيِهِ إلى يوم الدّين .

وبَعْد :

فَهَذهِ صُورة صادِقةٌ بيْنَ يَديْك أيُّها القارئُ العَزيزُ ، لصَفْوةٍ منَ الصَّحابَةِ الأجلّاء الّذين دخَلُوا فى دِينِ الله أفواجًا وضحَّوْا بالغالى والنَّفيسِ فى نَشْر هذه الدَّعوة المبارَكة .

وقد جاءتْ رائعةَ الأُسْلوبِ ، قَريبةً إلى الأذهان .

والله نرجُو أن تكونَ مُفيدةً هادِيةً ، وأن يستَفيد منها كُلُّ مُسلمٍ لأنها مأخُوذَة من صفحات التّاريخ الإسلامى العظيم .

والله وليُّ التوفيق

نُـــورٌ مِـــنَ اللهِ

اتَّجَه أَبُو المُسْلِمِينَ إبْراهِيمُ عَليه السَّلامُ فى أَوَّل أَمْرِه إلَى الكَواكِب ، ولمَّا رَأى كَوكبًا قالَ : هٰذا ربِّى . فلمَّا غاب وأفَل [غرب] قالَ : لا أُحِبُّ الآفِلِين .

فلمَّا رَأى القَمر بازغًا مُنيرًا، يملأ الدُّنْيا بهْجةً ونُورًا قال: هٰذا ربِّى ، فَلمَّا أفَلَ انْصَرفَ عَنْه ، ولَم يَرْضَ بهِ مَعْبودًا .

فلمَّا رَأى الشَّمسَ بازِغةً مُضيئةً ، تَبْعثُ فى الدُّنْيا الحياةَ والضِّياءَ قَال : هٰذا ربِّى هٰذا أكْبرُ ، فلمَّا أفلتْ لَم يَرضَ أنْ يَعبُدَ إلهاً مُتغيرًا فقَال : ياقَومُ ، إنِّى بَرىءٌ ممَّا تُشْرِكونَ إنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمواتِ والأرضَ حَنيفًا ، وما أَنَا مِنَ المُشْرِكينَ

* * *

وعلَى هذا الطَّريقِ القَويمِ سَارَ سلْمانُ الفَارسىُّ ، عَبَدَ ربًّا يُقَدسُهُ أَهْلُه وقَومُه ، ثمَّ انْصَرفَ عَنهُ ، وعَبدَ غَيرَه . وهَكذا سَار مِنْ تَفْكيرٍ إلَى تَفْكيرٍ ، حتَّى هُدِى إلَى صِراطِ العَزيزِ الحَميدِ .

ولَقَد قيلَ : إنَّ سلْمانَ عَبَدَ سَبعةَ عَشر ربًّا ، ثُمَّ هُدِىَ إلَى مُحمدٍ عَليه السَّلامُ ، فأخَذَ بِيدهِ إلَى صِراطِ العَزيزِ الحَميدِ .

فتـى مِـنْ فـــارس

ذلَكُم هُو سَلْمَان أبُو عَبْد الله كانَ أَبوهُ مِنْ كِبارِ الفلاَّحِين فى فارسَ ، وكانَتْ لَه ضَيْعةٌ وَاسِعةٌ مِنْ أرضِ أصْبهان ، فى قَريةٍ يُقالُ لَها : جىّ .

وكانتِ المُجوسيَّةَ الدِّينُ الذى يَدينُ بهِ الفُرسُ فيما قَبلَ الإسْلام ، وكانَ مِنْ عقائِد هَذا الدِّين أنْ يُوقِدَ المتَعبِّدون نَارًا لا تَنْطَفئُ أَبدًا ، ثمَّ يَعكفُونَ عَلَى تَقْديسِ هَذهِ النَّارِ وعِبادَتِها ، وتلاوة الأدْعيةِ ، والأشْعارِ حَوْلها .

نشأَ سَلْمانُ وسَطَ هٰذهِ الحَياةِ ، وكانَ أبوهُ يُحبُّه حبًّا شَديدًا ، ويَخافُ عَليهِ مِنْ أىِّ شىءٍ ، فحبَسهُ فى بَيتِه ، كما تُحْبَس الجارِيةُ ، واجتَهد والدهُ أنْ يُعلِّمه المجُوسيَّة ويعرِّفهُ أُصُولَها وطُقُوسَها (تعاليمَها) .

تفرّغَ الأبُ لضَيْعَتِهِ يتعهّدها بالسَّقْى والحرْثِ ،

والإخصابِ ، ويُخرِجُ مِنها أنْضَرَ الزَّرعِ ، وأوْفر الثَّمراتِ وأطْيَبهَا ، واستمرَّ عَلى ذَلكَ حِينًا طَويلاً .

ثمَّ فكَّر أنْ لابُدَّ لسلَمان أنْ يَعرِفَ صِناعةَ أبيهِ ، ويَسيرَ عَلى طَريقَتهِ فى الحِفاظِ عَلى ثَروتهِ ، ورعايةِ شئونِ أسْرته .

بدَا لهُ أن يُرسِلَ ابْنهُ إلَى الضَّيعَةِ ، يتعهَّدها ، ويتمرَّن فى أعْمالِها ، ذَهبَ سَلمانُ إلى الضَّيعةِ ، وجدَّ فى زِراعةِ أرْضِهم ، واجْتهَد فى رِعاية ثروتهم ، وانْصرَفَ أبوهُ إلَى بناءٍ لَه ، كَانَ يقيمُه فى البَلْدة ، ولكنَّ الوالدَ المشْغُوفَ بابْنِه كانَ لا يُطيقُ البُعْد عَنهُ ، فأوصاهُ أنْ يأْتِيَ إليهِ بالبَلْدةِ حِينًا بَعدَ حِينٍ .

* * *

خَرجَ سَلْمانُ إلَى ضَيعةِ أبيهِ ، ينفِّذُ فِيها ما أَمرَهُ بهِ ، ويَرْعَى مِنْ شئُونِها ما كانَ يقُومُ بهِ أبوهُ .

وفى طَريقِهِ مرَّ بكَنيسةٍ للنَّصارَى ، فَسمعَ أصواتهم وهُم يؤدُّون صَلاتَهم ، ونَفذَت إلَى قَلبهِ تَرانيمُهمْ ، وابتهَالاتُهمْ ، ولَم يَكنْ لَهُ عهدٌ بشَيءٍ منْ هذا ، ولا سَمعَ مِثلَه مِنْ قبلُ ، فلَم يكُنْ سَلْمان يختَلطُ بأحَدٍ ، وكانَ أبوهُ ضَنينًا بهِ ، فلَم يَصلْه بأىِّ مُجتَمعٍ مِنَ المجتَمعَات ، ولَم يَدعْ لأىِّ مَعْرفةٍ طَريقًا إليهِ ، إلاَّ إذا
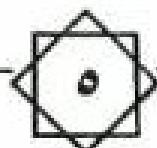
كانَ يرْتَضيهَا ويطْمئنّ إليهَا ، ولذٰلِكَ حبسَه وقطَعهُ عَن جَميعِ النَّاسِ ، فقَضَى مُعْظم وقْتِه بينَ جُدْران بيْتِه .

* * *

لمَّا سَمعَ سَلمَانُ أصْواتَ هؤُلاءِ المتَعبِّدين دَخلَ إلَى الكَنيسَة ؛ ليَرَى النَّصارَى وماذَا يصْنَعون وليعْرفَ ما يقُولون ، وليصلَ إلَى مَكنُونِ هٰذا الشَّيءِ الغَريبِ عَليهِ ، ولمَّا دَخل وعاينَ أمْرهُم ، ووقَفَ عَلَى طقوسِهم ، وسَأل عَنْ عِبادَتهِم أُعْجِبَ بأمْرِهم ، وسُرَّ بعَملِهم ، ورَغبَ فى التَّديُّنِ بدِينهِم ، والسَّيرِ عَلى طَريقَتهم .

تفكيرٌ جَديدٌ

فَقَد أدْركَ بفِطْرتهِ ، وفَهمَ أنَّ هَذا الدِّينَ الَّذى يَسيرُ عَليهِ هؤلاءِ النَّاسُ خَيرٌ مِنَ الدِّينِ الذِى نَشأ عَليهِ آباؤُه وذَوُوه .

لَم يتْركْ سَلمَانُ الكَنيسَةَ ، ولَم يتَحوَّل عَنْ دِيارِ النَّصارَى ، واسْتمَرَّ بَيْنهُمْ ، حتَّى انْقَضَى النَّهارُ ، وهُوَ مَعهُم ، ونَسى ضَيعةَ أبِيهِ ، وغفَلَ عَنْ جَميعِ شئُونه ، وأصْبحَ لا هَمَّ لهُ ولا تَفكيرَ يَشْغلُه غَيْر هؤُلاءِ النَّصارَى وعِبادَتِهم فأقْبلَ عَليهِم فى حُبٍّ وشَغفٍ ، يسْألُهم عَنْ مَسائلَ دِينهِم ومَكْنون عَقيدَتهِم .

فكَّرَ سَلْمان وفكَّر ، ثمَّ وازَنَ بَينَ دِينِ آبائِه وقومِه وبْينَ دِينِ هؤُلاءِ النَّصارى ، فوجَدَ أنَّ قومهُ يتَّجهونَ إلَى النَّار يعْبدُونها ، أمَّا هؤُلاءِ فى كَنيستَهِم فيعْبدُون إلهًا ، خلَقَ النَّارَ ، وخلَقَ كلَّ الكَائناتِ .

فأدْركَ أنَّ قومهُ ضالُّون ، يعْتَقدونَ باطِلا وزَيفًا ، وأنَّ هؤلاءِ النَّصارَى الذِينَ يتَّجهونَ إلى معْبودٍ قوىٌّ إنَّما هُمْ علَى حقٍّ فى دِينهِم ، وكانتَ نَفسُ سَلْمان فى حَركةٍ دَائبةٍ ، وكانَ تَفْكيرهُ فى شُغْلٍ شاغلٍ بدينٍ يثْبُتُ عَليهِ ، وكانَ عقْلُه يُفكِّرُ فى إلهٍ قوىٍّ ، يَعبدُه ، ويتَّجهُ إلَيه ، فشغِلَ بهذا عَنْ كلِّ ما عداهُ .

وكانَ سَلْمان يُريدُ أنْ يَستَزيدَ مَعْرفةً بهذا الدِّين النَّصْرانىِّ الذِى أُعْجبَ بهِ ، فسَأل عَنهُ أكْثر وأكْثر .

فقالُوا له : إنَّها دَعوةٌ انْبعَثت مِنْ أرْضِ الشَّامِ .

أبٌ مَشْغـــــولٌ

استَمرَّ والدُ سَلْمان يَبحث عَنْه مُنذُ أنْ فَقده ، بَحثَ عنهُ فى كلِّ مَكانٍ ، واقْتفَى وراءهُ كلَّ أثَرٍ ، واستَقصَى عنهُ كلَّ خبَرٍ ، ثمَّ عثَر عَليهِ بَعْدَ جَهْدٍ جهيدٍ ، ولمَّا وَجدهُ قالَ لهُ :

– أيْنَ كُنتَ ياسَلْمان ؟ لَقَد أَتْعبتَنِى يابُنىَّ ، خِفْتُ عَليكَ فى غَيْبتكَ ، وأشْفقْتُ عَليكَ بَعد انْقطاعِكَ عنِّى ، وتَمَزّقَ قَلْبى أَسىً وحُزْنًا .

فَقالَ لَه سَلْمانُ :

– ياأَبتِ ، لا تَخَفْ ، ولا تَحْزن . فإنِّى قَد صِرْتُ رجُلاً ، أُفكِّرُ بَعقْلى ، وأبْحثُ عمَّا يَهمُّنى منَ الأُمُورِ ، وأسْتَقصِى مَا يُقابِلنى منَ الحادِثاتِ .

لَقدَ مَررْتُ – ياأبى – بأُناسٍ يُصلُّون فى كَنيسَةٍ لَهُم ، فأعْجبنى ما رَأيتُ ، مِنْ دِينهم ، وشَدَّنى إلَيهم ، فدَخلْتُ معَبدهُم ، وسَألتُ عَنْ عِبادتِهِم ، فأرْتضيْتُ ما رَأيتُ مِنْهمْ وهزَّنى ما عَرفْتُ مِنْ خَبَرِهمْ .

فو الله ما زِلتُ بينَهم أَتعرَّفُ ما يَعْملونَ ، وأَسْتخْبرُ عما يعْبدُون ، حتَّى غَربتِ الشَّمسُ ؛ وإنِّى – واللهِ – ياأبى لَمُعْجبٌ بهِمْ ؛ مُقْتَنعٌ بآرائِهم .

فقَالَ لهُ أبوهُ :

– إنَّما أنتَ شابٌّ نَاشىءٌ ، ولا خَيرَ لَكَ فى أنْ تَبحثَ عَنْ شَأنٍ فكَّر فيهِ أجْدادُك مِنْ قَبْلكَ ، وارْتضاهُ قَومُك مِنْ قَديمٍ

الزَّمنِ ، إنَّما نَحنُ – يابُنىَّ – أصْحابُ زِراعةٍ وعَملٍ ، ولَيس لنَا أنْ نُفكرَّ فى شَىءٍ لَيس مِنْ عَملنَا ، ولا مِنْ مُسْتلزَماتِنا ، وَلنخْضعَ لمَا خَضَع لهُ آباؤُنا ، فَهمْ عَلى ملَّةٍ وَمَذْهَبٍ ، وإنَّنا عَلى آثارِهم مُقْتدونَ .

يابنىَّ إنَّ الدِّين الذِى مَلكَ عَليكَ عقلَكَ ، واستَوْلى عَلى مَشاعِركَ ، إنَّما هُو دِينُ قَوْمٍ لا رَابطةَ بيْننا وبيْنَهم ، وخيَرٌ لكَ منهُ أن تَتبعَ الدِّينَ الذِى نَشأَ عَليه أجْدادُكَ وآباؤكَ .

فكَّر سلْمان ، ولَم يُرضِه هَذا التَّقليدَ الَّذِى يُريدُ أبوهُ أنْ يَطبَعَهُ عَليهِ ، ويُجْبرهُ عَلى طَاعتِه ، ولَمْ يرتَحْ إلَى الانْصِياعِ لآراءٍ ، لا يطْمئنُّ إليها ، وإنْ كانَتْ آراءَ قَومِه ، وآبائِه ، فَقالَ لأبيهِ :

– ياأبتِ ، إنَّ دِينَ هؤلاءِ النَّصارَى لخيرٌ مِنْ دِينِنَا ، الَّذى وَرثْناهُ عَنْ أسْلافِنا ، اعتَنقناهُ ، ولَم نُفكِّرْ فيهِ ، واتَّبعنا تَعاليمَه بَلا تَدبُّرٍ وإنَّه لأوْلَى وأحَقُّ بالإنْسانِ وقَدْ رُزِقَ عَقلاً وفَهمًا – أنْ يفكِّرَ ، ويبْحثَ ، ويستَقصِيَ ، ثمَّ يخْتارَ كَيفَ نَعبدُ ياأبتِ .

النارُ وهِىَ كائنٌ أقلُّ منَّا ، نَحنُ الذينَ نَصْنعُها ونُوقِدها ، وضَررُها ونَفعها إنَّما هُو بِيدنا ، وهِىَ لا تَملكُ خَيرًا ولا شرًّا .

ضاقَ الأبُ كلَّ الضِّيقِ بِهٰذهِ الآراءِ الجَديدةِ الَّتى لَم يأْلفْها

مِنْ قَبلُ ، ولا سِيَّما مِنْ وَليدِه ، الَّذِى كانَ يُحيطُه بكلِّ رِعايةٍ ، ويمنَعهُ أنْ يتَّصلَ بأحدٍ منَ النَّاسِ ، وماذَا يَعملُ ؟ لابدَّ لهُ أنْ يَتصرَّفَ بِقوةٍ ، وأنْ يَحسمَ الأمْرَ بعَزْمَةِ الأُبوَّة الشَّديدةِ ، لابدَّ لهُ أنْ يحْتفظَ بابنهِ ، بكلِّ طَريقةٍ منَ الطُّرقِ .

أخذَ الأبُ ابْنَهُ سَلْمان إلَى بَيتِه ، ورجَعَ بهِ إلى مَسقَطِ رَأسهِ ، بَعْدَ أنْ تَعِبَ فى البَحْث عَنهُ ، ثمَّ تَعبَ فى إقْناعِه ، وتَعْديلِ ما تَغيَّر مِنْ حَالهِ .

حَبسَ الأبُ ابْنَهُ فى حِصنٍ حَصينٍ ، وأبعَدَ عَنهُ كلَّ الناسِ ولَم يكْتفِ بذَلكَ ، بلَ قيَّدهُ بقيدٍ منْ حَديدٍ ، رَبطهُ فى رِجْليهِ ، حتَّى لا يخْرجَ مِنَ الحصْنِ ، ويتَّصلَ بأُناسٍ آخَرينَ .

وَراءَ الحقِيقَـــة

ولكنَّ نَفسَ سَلْمان كانَتْ خَارجَ الحِصْن ، وخَارجَ القَيدِ ، تَجُولُ فى آفاقِ الأَرْضِ بَحثًا عنِ الدِّينِ المنْشُود .

وكانَ عَلى صِلَةٍ دائمةٍ بالنَّصارَى الَّذينَ عَرفَهمْ ، يَومَ دَخلَ عَليهِم كَنيسَتَهم ، فَصارَ يُراسِلهمْ ، ويتَعرَّف أخْبارَهُم ويُوحونَ إليهِ بأسْرَارِهمْ .

وأرْسَلَ إليهم يومًا يطلبُ مِنْهمْ أنْ يُخْبروهُ إذَا أتاهُم رُسلٌ مِنَ الشَّامِ .

ولمَّا جَاءهُم تُجارٌ مِنَ الشَّامِ أرْسلُوا إليهِ ، فَكَسر قَيدَهُ ، وفكَّ أسْرَهُ ، واتَّصلَ بهؤُلاءِ التُّجارِ ، وعَقَد صِلاتَهُ بِهم ، وصَارَ مَعُهم إلَى أنْ باعُوا تِجارتَهمْ ، ولمَّا همُّوا بالرُّجوعِ إلَى بَلدِهم سارَ مَعهُم فى رِكابِهمْ إلَى أرْضِ الشَّامِ

سلْمانُ فى الشَّامِ

ألقىَ سَلْمان رَحلَه فى الشَّام ، ولمَّا اطْمأنَّ فيهِ حَالَهُ ورتَّب أمرهُ ، صارَ يسْألُ عنْ أهْلِ النَّصرانيةِ ، ويبحَثُ عن أحْسَنهِم عِلْمًا ، وأفْضلِهِم رَأْيًا ، وأفْهمِهم لِدينِهِ ، وأوسَعِهم بهِ خُبْرًا (علمًا) .

فدلُّوه علَى كَنيسةٍ كُبْرى يَجدُ فِيها الرَّئيسَ الدِّينىَّ للإقْليمِ كلِّه ، وذَلِكَ هُو وعاءُ الدِّين ، وصاحِبُ الرَّأْى فيهِ ، وحافظُ تَعاليمِهِ ، ونَاشرُ دَعْوتِه ، فَجاءه سَلْمان ، وقال لَه :

– أيُّها الرَّئيسُ الجليلُ ، لَقَد رَغبتُ فى هذا الدِّينِ ، الَّذى

تَدينُون بهِ ، وتَتعبَّدونَ عَلى طقُوسِه ، وأَحْببتُ أَنْ أَكونَ مَعَكَ ، وأَخْدمَكَ فى كَنيستِكَ ، فأتعلَّم مِنكَ ؛ وأُصلِّى وراءكَ .

قَبلَ الأسْقُفُ ما عَرضهُ عَليهِ سَلمانُ ، وضمَّه إلى أنْصارِه فى مَعبدِهِ .

وعاشَ الفارسىُّ مَع الأُسقُفِ ، يَتعرَّف أمْرهُ ، ويَسيرُ عَلى تَعاليمِهِ ، ويُحْصى عَليه حَركاتهُ وسَكناتهُ . حتىَّ يَجدَ فى كلِّ ذلكَ المعْرفة التى يَبحثُ عَنها ، ويَهتَدِى إلى الطَّلبَة ، الَّتى خَرجَ مِنْ أجْلهَا ، مُهاجرًا مِنْ وَطنِه فارًّا ، تَاركًا أهلَه وذَويهِ .

أقامَ سَلْمان فى الكَنيسَة ، مَع الأُسقُف ، يخْدمُه ، ويتَعلَّم عليهِ ، ويأْخذُ الرَّأىَ عنهُ .

وفى أثناءِ إقامَتهِ ، أدْركَ أنَّ هَذا الرَّئيسَ الدِّينى يَكْتنِز ما يَجمعهُ مِنَ الصَّدقاتِ ، يملأُ بهِ خَزائنَه ولا يُنْفِقُ مِنهُ على الفُقَراءِ والمسَاكِين ، بلْ كلُّ همِّه أنْ يَجمعَ المالَ : ذَهبًا وفِضَّةً ، ويحْبسهُ عنِ المحتَاجينَ ، والبَائِسين .

وهُوَ كلَّ يومٍ فى الكَنيسَة ، يَعِظُ المصلِّينَ ؛ يأمُرهم بالصَّدقةِ ، والإنْفاقِ ويحبِّبُ إليهم البذْلَ والسَّخاءَ ، ثُم يأْخذُ مِنْهُم الأمْوالَ ، يَكْتنزهَا لنَفْسه . ولا يَصْرفُها فى وجُوهِها ، التى جُمِعت لَها .

كَشَفَ سَلْمانُ أمْرَهُ لجمهُورِ النَّاسِ ، وعَرّفَهُمْ أنهُ لا يُنْفِقُ المالَ للمحْتاجِينَ ، بلْ يكْتِزهُ فى أوْعيةٍ لَدَيْهِ .

ولمَّا عَرفَ الناسُ سِرَّه ، ووَقَفُوا عَلَى مخْبوءِ أمْرِهِ أبغَضُوه بُغْضًا شَديدًا وثارُوا عَليهِ ، وقَتلوهُ رَميًا بالحِجارَة ، وانتَهَوْا مِنْ أمْرِهِ

أسْـقـفٌ جَـديـدٌ

وُفِّق القَومُ إلَى رَئيسٍ دِينىٍّ جديدٍ ، تَوسَّموا فيهِ صَلاحًا ، ورَجَوْا فيهِ دينًا صَحيحًا ، وسِيرَةً طَاهرةً ، فَملَّكوهُ أمْرَهُم . وائْتمنُوه علَى أسْرارِهم ، وتَركُوا لهُ أُمورَ دِينهِم ، ورِعاية شئُونهِم .

وكانَ الرَّجلُ صَالحًا ، راعيًا أمينًا ، زَهِدَ فى مَتاع الدُّنْيا ، وعَفَّ عنْ كلِّ ما فِيها ؛ وتَركَ المالَ للفُقَراء والمحتاجِينَ ، وثَابَر عَلى عِبادة رَبّه باللَّيل والنَّهارِ ، مُنْصرفًا إلَى ثَواب الآخرةِ ، وسَار فى قَومِه سيرةَ الرَّجلِ الصَّالحِ ، العَفِّ الطَّاهِرِ ، كلُّ همِّه عِبادةُ رَبّه ، والأخْذُ بيدِ شَعْبه إلَى كلِّ ما يُرضِى الله .

أَحَبَّ سلْمان هَذا الرَّئيسَ الجَديدَ ، ووجَد فى سيرَته كلَّ ما
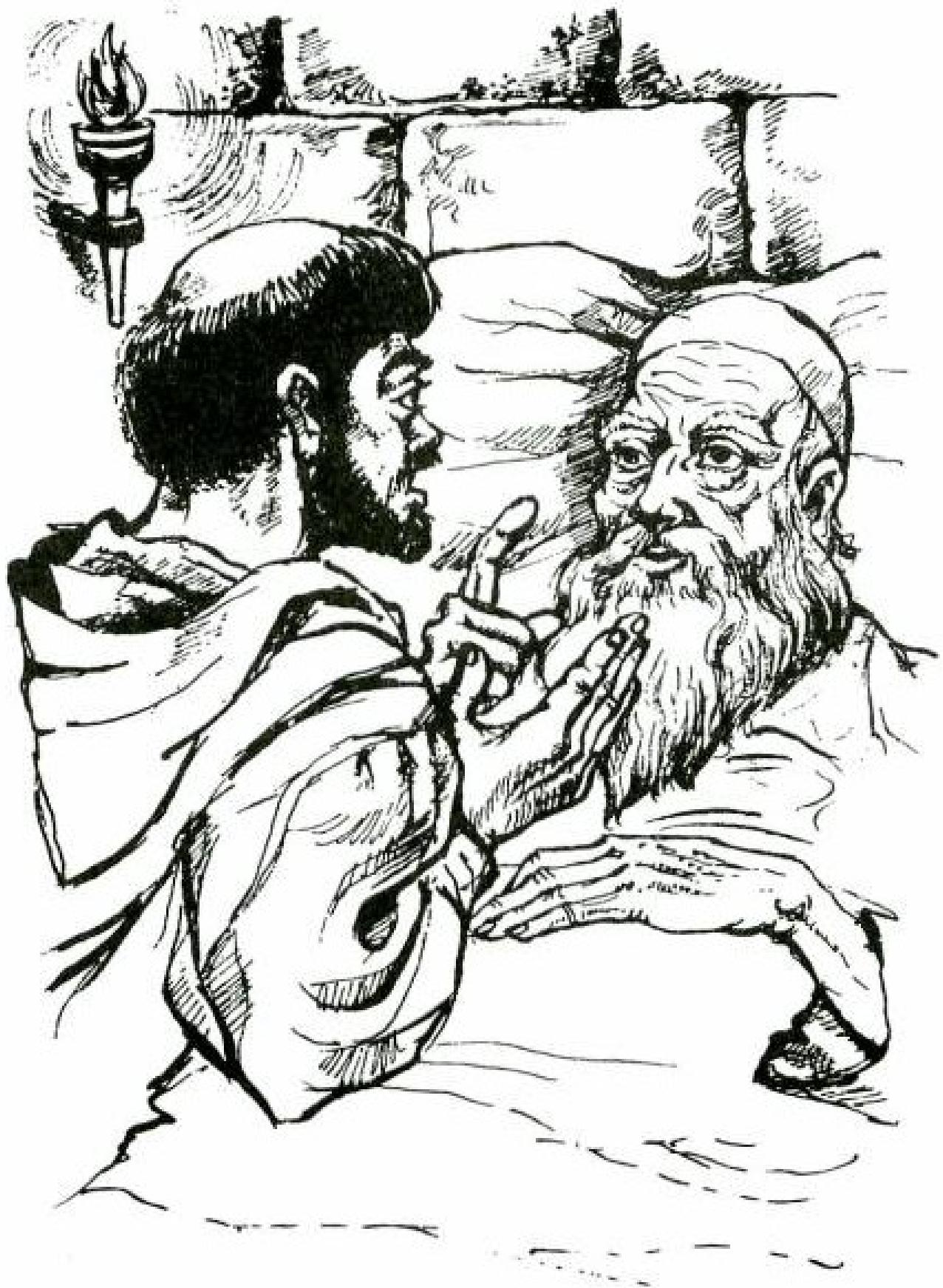
يُشرِّف الرَّجلَ الكَاملَ ، وكلَّ ما يبْتَغيهِ الإنْسانُ الصَّالحُ ، أَحبَّه مِنْ كلِّ قلبِهِ ، وعَكَف عَلى خِدْمتهِ ، والسَّيْر فى رِكابِه ، وحَرَصَ عَلى أن يَعىَ كلَّ أقْوالِهِ وأنْ يَحْتذِى كُلَّ أفْعالِه .

وأقامَ مَعهُ فى كَنيسَتِه ، مُطْمئنًّا إلَى جِوارِه ، رَاضيًا برعَايتِهِ .

ولكنَّ القَدَر لَمْ يمْهل الأُسقفَ الجَديدَ . بَلِ اشْتدَّ عَليهِ المرضُ ، ودنتَ سَاعة وَفاتهِ . فَجلسَ إلَيه سَلْمان حَزينًا ، وقرَّب فَمهُ مِنْ أذُنِهِ وقالَ له :

– إنِّى عِشْتُ مَعكَ ، وخَالطتُكَ ، وخَبرتُكَ ، فأَحْبَبْتكَ مِنْ كلِّ قَلْبى ، لأنِّى رَأيتُ مِنكَ العِشْرَةَ الطَّيبةَ ، والقُدوةَ الصَّالحَةَ ، والعَقيدةَ الطَّاهرةَ ، وقَدْ حضَركَ الموتُ – وهُوَ أمرُ الله تَعالى – فإلَى مَنْ تُوصى بِى ؟ وبمَ تأْمرنى ؟

فَقالَ الأُسْقفُ :

– يابُنىَّ ، والله ما أَعْلَم اليومَ أحَدًا يَسيرُ على ما كُنتُ أسيرُ عَليهِ فى حياتى الَّتى رأيتَهَا . فَقَد هَلكَ الصَّالحونَ ، ومَضَى الأبْرارُ العَابدُونَ ، وجاءَ مِنْ بَعْدِهم كَثيرٌ ؛ ولكنَّهم بدَّلُوا ، وغَيَّروا ، وتَركُوا أكثَر الحَقِّ ، وأَدْخلُوا كَثيرًا مِنَ الزَّيْفِ والبُطْلان .

يابُنىَّ ، لَم يبْقَ مِنَ الصَّالحينَ إلاَّ رجلٌ بالموصِلِ ، مِنْ أرض

العِراقِ ، وهُوَ (فلان) فالْحقْ بهِ ، فإنّه عَلى نُورٍ مِن رَبِّه وعَلى هُدًى فى شَرِيعَتهِ .

ثمَّ هُو مأْمونٌ فى دِينه ، مُوثوقٌ بتَعاليمِه .

ماتَ الأُسقُفُ الصَّالحُ ، وكانَتْ وَصيتُه الأخِيرةُ دَافعًا حَفَزَ سَلْمان إلَى أنْ يُشدَّ رِحالهُ إلَى الموصِلِ ، وصارَ يسألُ عَنِ الكَاهنِ الذِى سَمَّاه لهُ ، حتَّى وَجدهُ ، وأقامَ عنْدهُ مُدةً ، يأْخذُ مِنْ عِلْمه ، ويتَزوّد مِنْ آرائِه ، ونَصائحِه ، حتَّى ماتَ أيْضًا .

فانْتقلَ سَلْمانُ إلَى أُسقُفٍ جَديدٍ فى نصيبينَ مِنْ أرْضِ الشَّامِ ثمَّ انْتقلَ إلَى آخَرَ فى عمُّوريَّة فأخْبرهُ بما كانَ لهُ ، وما تَعرَّض لهُ مِنْ رَحَلاتٍ ، وانْتِقالاتٍ ، لَعلَّه يجدُ الطَّريقةَ الصَّحيحةَ لشَريعةِ الله ، ولَعلَّه يَصلُ إلَى الدِّينِ القَويمِ فى عبادتهِ .

فَقال الكَاهنُ :

– يابُنَىَّ ، والله لا أعْلمُ اليوْمَ أحدًا مِنَ النَّاسِ يَسيرُ عَلى ما كنَّا عَليهِ فى عِبادَته حتَّى آمرُكَ أنْ تَذْهب إلَيهِ ؛ وتتزَوَّدَ مِنهُ .

ولكنَّهُ قَدْ قَربَ زَمانُ نَبىٍّ يُبعثُ بدينِ إبْراهِيم ، يخْرجُ بأرْضِ العَربِ ، ثمَّ يُهاجر إلَى أرْضٍ ، بَينَ جَبلَين ، بَيْنهما نَخلٌ ، وبهِ عَلاماتٌ لا تَخْفى ، يأْكلُ الهَديَّة ، ولا يأْكلُ الصَّدقةَ ، وبَينَ

كَتفَيْهِ قِطعةٌ نَاتِئةٌ كأنَّها تُفاحةٌ ، وتِلكَ خَاتَم النُّبوةِ هٰذا ، يابُنىَّ ، ما جاءَ بالكُتُب السَّماوِيَّةِ الَّتى نَزلَت عَلَى مُوسَى وعِيسَى ؛ وذَٰلكَ هُو ما بُشِّرتُ بهِ .

فإنِ استَطعتَ أنْ تَلْحق بهِ فى تِلْكَ البِلادِ فافعَل .

إلـى بـلادِ العَـرَبِ

عاشَ سَلْمانُ فى عَمُورِيَّة ما شاءَ الله لهُ أنْ يمْكُثَ فِيها ، ثُم مَرَّ بهِ جَماعةٌ مِنْ قَبيلةٍ عَرَبيَّةٍ ، هى قَبيلةُ كَلْبٍ فلمَّا عَرفَهمْ ، وأنِسَ إلَيهم طَلَبَ مِنْهم أنْ يحْمِلُوه مَعَهم إلَى بِلادِهم ، عَلى أنْ يدْفَع لَهمُ أجْرًا ، بقَراتٍ كانَتْ لَهُ ، وأغْنامًا ، وسارَ مَعَهُم مِنْ أرضِ الشَّام . إلَى أرْضِ الحِجازِ ، والطَّريقُ طَويلةٌ وشَاقةٌ .

ولمَّا بلغُوا وَادِى القُرَى مِنْ أرْضِ العَربِ ضاقُوا بسَلْمان ، وأرَادُوا أنْ يتَخلَّصوا مِنْه ، فَباعُوه لرجُلٍ يَهودىٍّ ، وقَبضُوا ثمنهُ ، وتَركُوه لَهُ ؛ ولمَّا عَرفَ سَلْمان مَصيرَهُ صَبَر عَلى ما حَلَّ بهِ ، وعاشَ مَعَ اليَهودىِّ مُدةً ، يعْملُ لهُ ما يأمُرُه بهِ .

وطيَّب لَه عَيشهُ فى وَادِى القُرَى ، وصبَّرهُ عَلى العُبُوديَّةِ والأسْرِ أنهُ رَأى فى هٰذا الوَادِى نَخيلا ، بَعثَ إلى نَفْسه الأمَلَ ،

أنْ يَكونَ هَذا بلدُ النَّبيِّ الذِي وُصِفَ لهُ فَثَابَر (أخلص) عَلَى عَملِهِ ، وانْبعثَ يبْتغي تَحقيقَ رَجائِهِ .

إلَـى المـدينـةِ المنـوَّرةِ

عَاشَ سَلْمان رَاضيًا ، عَسَى أنْ يَتحقَّق أملهُ فى لِقاء النَّبيِّ إلَى أنْ جاءَ إلَى وَادِي القُرَى يَهودِيٌّ مِنْ قُرَيْظَة تَربطهُ قَرابةٌ باليهودىِّ ، صاحِب سَلْمان ، فاشْتَراه القُرَيْظِىُّ مِنْ قَريبهِ وحَملهُ إلَى المدينة المنَوَّرةِ .

ولمَّا رَآهَا الفَارسيُّ تَهلَّل واستَبشَر واطْمأَنَّ قَلبهُ ، وقَرَّتْ عَيناهُ ، إذْ عَرَفَها ممَّا وصَفَها بهِ كاهِنُ عَمُّورِيَّة مِنْ قَبلُ.. وطابَ لهُ أنْ يُلقِي بهَا عَصاهُ وأنْ تَكونَ مَوْطنًا لهُ .

حَـديـثٌ لسَـلْـمـان

ثمَّ نَستَمعُ إلَى سَلْمان يقُولُ :

– فأقمتُ بهَا ، وبُعثَ رَسُول الله ﷺ ، فَأقام بمكَّةَ ما أقامَ ، لا أسْمعُ لَه بِذكْرٍ ، لمَا أنا فِيهِ من شُغْل الرِّقِّ ، ثمَّ هاجَر النَّبىُّ إلَى المدِينَة فَوالله إنِّي لَفِى رأسِ عِذْق لسيِّدى ، أعْمَلُ فيهِ بعضَ

العَمَل ، وسيِّدى جالسٌ تحتى ، إذْ أقبل ابنُ عمٍّ له ، حتَّى وقفَ عَليهِ . فقالَ لسيِّدِى :

– قاتَلَ الله بَنِي قَيْلَة والله إنَّهم لمجتمعُون بقُبَاء عَلى رجُلٍ قَدِمَ عَليهِم مِنْ مَكَّة ، يزْعُمون أنَّه نبيٌّ ! !

فلمَّا سَمعتُها – وأنَا فَوقَ النَّخلةِ – أخَذتْنى رِعْدَةٌ شَديدةٌ ، فَنزلتُ عَن النَّخلةِ وأقبلتُ عَلى ابن عَمِّه ذلكَ ، وقلْتُ له :

– ماذَا تقُولُ ؟

فغَضِبَ سيِّدى ، فَلكمَنى لَكْمَةً شَديدةً ، ثمَّ قال :

– مَالكَ ولهَذا ؟ أقْبلْ عَلى عَملكَ ، فقُلْتُ :

– لاشىْء إنَّما أردتُ أنْ أتثبَّتَ ممَّا قالَ .

الهديَّةُ والصَّدقةُ

استْمرَّ فى عَملهِ عنْدَ سيِّده ، يُفكِّر فى هٰذا الوَافِد الجديدِ ، الذى قَدمَ إلَى يثْربَ . واجْتمع بهِ الأوْسُ والخزْرجُ ؛ عِندَ قُباء .

ولمَّا توافرَ لهُ بَعضُ المالِ . ممَّا جَمعهُ لنفْسِه ؛ ووَهَبه إيَّاهُ سيِّدُه أخذ هٰذا المالَ القَليلَ فى مَساءِ يومٍ ، وذَهبَ إلَى المَكانِ

الذِى فيهِ رسُولُ اللهِ ، فى قُبَاء ، ولمَّا دَخَلَ سَلْمَانُ عَلى الرَّسولِ العَظِيمِ ، عَليهِ السَّلام حيَّاهُ .

ثمَّ قالَ لهُ :

– بلغَنى أنَّكَ رجُلٌ صَالحٌ ، ومَعَكَ أصْحابٌ لَكَ غُرباء ، ذَوو حَاجةٍ ، وهَذا مالٌ جَمعتُه مِنْ كَسْبى ، لأتصدّقَ بهِ ، ورَأيتُكم أحَقُّ بهِ مِنْ غَيرِكم ، فأتيتُ بهِ إلَيكُم ، ثمَّ ألقَى بالمالِ بَينَ يَدىِ الرَّسولِ الكَرِيمِ ، فَقالَ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لأصْحابِه :

– كلُوا ممَّا أتاكُم بهِ .

وأمْسَكَ عَليهِ السَّلامُ ، فَلَم يمد يَدهُ ، ولَم يأكُل ..

نَظَرَ سَلْمان إلَى مَا كانَ مِنْ أَمرِ مُحمدٍ عَليهِ السَّلامُ ، إذْ أمْسَكَ عنِ الصَّدَقةِ التِى جَاء بهَا سَلْمان ، ولَم يَرَ لنَفْسه حقًّا فِيها ، ولَم يختزِنْها لنَفْسه ، بلْ لَم يُشارِكْ أصْحابَه فِيها ، مَع أنَّه كانَ فى أشدِّ الاحتياجِ إلى أَمثالِها . ولاسِيَّما أنُه مُهاجرٌ . تَركَ وَراءهُ مَالَه ، وأهْلهُ ، ولَم يَحْمل مِنْ وَطنِه شَيئًا ، يستَعينُ به ، أوْ قُوتًا يقْتاتُ مِنه .

عَجِب سَلْمانٌ مِنْ أمْرِ الرَّسولِ عَليهِ السَّلامُ ، وأكْبَرَ صُنْعَهُ ،

واطْمأنَّ لعِفَّتِه ، وأمَانتِهِ ، وعَلِمَ أنَّ وَراءَ هٰذا الخُلُقِ الكَريمِ ما وَراءهُ مِنْ طَهارةٍ ونُبلٍ ، ودِينٍ كامِلٍ عَظيمٍ .

* * *

ذَهبَ سَلْمان إلَى عَملهِ عِنْدَ سَيِّده ، واسْتمرَّ يَعْملُ . إلَى أنْ جَمعَ مَالا تَوافرَ لهُ ولا حَاجةَ لهُ بهِ ، ثمَّ أتَى إلَى الرَّسولِ الكَريمِ مرَّة أخْرَى ، وألْقاهُ بَين يَديهِ .

وقالَ لهُ :

– يارَسولَ الله ، إنِّى رَأيتُكَ لا تَأكلُ مِنَ المالِ الَّذِة قَدمتُه فى المَرَّةِ الأُولَى ، لأنهُ صَدقَةٌ ، ولكنَّ هٰذا مَالٌ قَدمْتُ بهِ هديَّةً لَكَ ، أكْرمتُكَ بهَا . فأكَلَ عَليهِ السَّلامُ مِنْها ، ودَعا أصْحابَهُ ، فأكَلُوا مَعهُ .

فَنفذَ هٰذا الصَّنيعُ إلَى قَلبِ الفَارسيِّ ، فأضَاءَهُ بنُورِ الإيمانِ ، وثَارتْ فى نَفْسه أمْنياتٌ ، عَسَى الله أنْ يفُكَّ أسْرَهُ ، ويُعتِقَه مِنْ رِقِّهِ ، حتَّى يُشْرفَ بجوارِ هٰذا الرَّسولِ الأمِينِ ، يهتَدىَ بَهْديهِ ، ويتأدّبَ بأدَبه ، بَعدَ أنْ أدْركَ بعقْلِه المسْتَنيرِ ، وبَصيرته النفَّاذةِ أنّه نَبىٌّ ، يأْكُلُ الهَديَّة ، ولا يأْكُلُ مِنَ الصَّدقةِ .

جاء سلمان مرّة ثالثة إلى النبيّ صلوات الله عليه ، فوجده قد تبع جنازة رجلٍ من أصحابه ، فسلّم عليه ، ثمّ استدار خلفه ، وأخذ يمشى وراءه ويسدّد نظره إلى ما بين كتفيه ، ويحملق بعينيه فى أعلى ظهره عليه السّلام ، فلمّا رآه ﷺ يتخلّف ويمشى وراءه ، وهو مشغولٌ بالنّظر إلى أعلى ظهره أدرك أنه يريد أن يستيقن من شىءٍ وُصف له .

فألقى عليه السّلامُ رداءه عن ظهره ، فظهر الخاتمُ ، الذى يسعى سلمان لرؤيته ، ويكثر من التّحرك خلف الرّسول بُغية العثور عليه .

ولمّا وجد سلمان الخاتم ، ووقعت عليه عيناه أسرع نحو الرّسول فقبّل هذا الخاتم النّبوىّ ، ثمّ انهمر باكيًا .

فقال له عليه السّلامُ :

– تحوّلْ إلىّ ياسلمان .

ولمّا استقبله أجلسه بين يديه ، وسمع حديثه ، وكشف لرسول الله عن قصّته كلّها من يوم أن خرج من بيت أبيه إلى يومه هذا .

فأعجب رسولُ الله عليه السّلامُ ، باجتهاده ، وصفاء

نَفْسِه ، وحُبِّه للبَحْث ، والتَّفْكير ، والجِدِّ فى الحصُول عَلى الخيْرِ أيْنما كانَ ، واحْتِماله المشَقَّة فى سَبيلِ الإيمانِ .

سَلْمان عِندَ سَيِّده

تَرِكَ الفَارسىُّ مجْلسَ الرَّسولِ ، وهُو يفكِّر فى هَذا الشَّأْن العظيمِ ، لهَذا الرَّجلِ العَظيمِ ، وقَدِ ارْتبطَ قَلبُه بدِينِهِ ، وتَعلَّقتْ مَشاعِره بإيمانِه ؛ ووَدَّ لَوْ يسْتمرُّ مَعهُ ولا يُفارقُه ؛ لأنَّه الأُمْنيةُ الغَاليةُ ، الَّتِى تَركَ مِنْ أجْلها الأهْلَ والمالَ والوَطَن ، وتَعرَّض بسَببِها للرِّقِّ والعبُوديَّةِ .

وأنَّى لهُ أنْ يُلازِم مَجلسَ الرَّسُولِ الكَريمِ ، وهُوَ عَبدٌ رَقيقٌ ؟ لا يَملكُ شيئًا لنَفْسِه ، ولا حُرِّية تخوِّلهُ أنْ يَصلَ إلَى هذا المقامِ الرَّفيعِ ، مجلسَ الرَّسُول العَظِيم .

رَجَع سَلْمانُ إلَى سَيِّده ؛ لأنَّه مَالكُ حُرِّيتهِ ، ولاَ يَسْتطيعُ أنْ يتخلَّف عَنهُ ، وشُغِلَ حينًا برقِّه ، واسْتكانَ إلَى عُبوديَّته ، يتجرَّعُ أمَرَّ كئوسِها ، فى أسْر سَيِّده اليَهودىِّ .

ولكنَّه يحْملُ بَينَ ضُلُوعه قَلبًا يَمتلئُ بحبِّ هذا الدِّينِ

الجديدِ ، ويَفيضُ أسىً وحَسْرَةً ؛ لأنهُ بَعيدٌ عَنِ الرَّسولِ الكَريمِ .

أسْلَم سَلْمانُ بقَلْبه ، وارْتَبط مَعَ الرَّسُول عَليهِ السَّلامُ بحبِّه وإيمانِه . ولكنَّه لا يستَطيعُ أنْ يُشاركَ المسْلمينَ فى جِهادٍ ، ولا غزْوٍ ، وكانَ ذَلكَ عَلى نَفْسه عَزيزًا وكانَتْ حَسْرَتُه لذَلك مُؤْلمةً شَديدةً .

سَلمانُ يَسْتَشيرُ الرَّسولَ

جاء سَلْمان يَومًا إلَى رسُولِ الله عَليهِ السَّلامُ ؛ فكَشَفَ لَه عَمَّا يَهمُّه ، ويُؤلِمهُ ، وأنباهُ أنَّ أمَلهُ فى الحَياةِ أنْ يَكونَ مَعهُ ، مِنْ أنْصارِه وأصْحابِه ، وجُنودِه .

فقالَ لهُ رسُولُ الله عَليهِ السَّلامُ :

– كَاتِبْ ياسَلْمان .

فذَهَب سَلمان إلى موَلاهُ ، وقالَ لهُ :

– إنِّى أُريدُ أنْ أُكاتِبكَ ، لكَ عَلىَّ أنْ أزْرعَ لَكَ ثَلثمائة نخلةٍ ، احْفُر أرْضَها وأسْقيها ، ثمَّ أُعطيكَ بَعدَ ذلكَ أرْبعينَ أُوقيةً مِنْ فِضَّةٍ ، عَلى أنْ تَعتِقَنى بَعدَ ذَلكَ .

فَرضِيَ اليهَوديُّ ، ورَأى أنْ فى ذلكَ كَسبًا لَه . وخَلاصًا مِنْ سَلْمَان ، الذِى كانَ لا يَطْمئِنُّ إلَى بقَائِه عِندهُ .

جَمَعَ الرَّسولُ ﷺ أصْحابهُ ، وقالَ لَهم :

– أَعِينُوا أخَاكُم .

فتَسابقُوا إلَى عَونه ، وسَارعُوا إلَى فَكِّ أسْره ، حتَّى اجْتمعتْ لهَ ثلثمائةِ نَخلةٍ صَغيرةٍ ، ثمَّ قالَ الرَّسولُ :

– اذْهَب ياسَلْمان ، فَاحْفرْ لَها ، فإذَا فَرغْت فَعُدْ إلىَّ ، حتَّى أضَعَها فى حُفْرتِها بيدِى .

فذَهبَ سَلْمان مَعَ جَماعةٍ مِنْ أَصْحابِ رَسُولِ الله عَليهِ السَّلامُ ، فأعَدُّوا الحُفَرات ، ثمَّ خرَجَ عَليهِ السَّلامُ ، فَوضَع صِغارَ النَّخلِ بيَدهِ الشَّريفةِ ؛ فلَم تَتخلَّف واحِدةٌ مِنْها عَنِ الظُّهورِ ، وحَسْبُها أنَّها مِنْ غَرسِ النَّبىِّ الكَريمِ ! !

وبَقِىَ عَلى سَلْمان أرْبعينَ أُوقيةً مِن فِضَّةٍ ، فأعْطاهُ الرَّسولُ بَعْضَ المَال ، عوْنًا لَه عَلى تَحْرير رَقَبتهِ ، وفَكِّ أسْره ، وقالَ لهُ :

– خُذْ هَذا ، فأدِّ مَا عَليْك ياسَلْمانُ .

فأخذَ سَلْمان مَالاً ، باركَ الله فيهِ ، فدفَعهُ إلَى سَيدهِ . فَوفاهُ

حَقَّه وأدَّى شُروطَ المُكاتَبة بيْنَهَ وبَينَه ، وصَارَ مِنَ العُتقاء الأحْرارِ .

وانْدمجَ بعدَ ذَلكَ فى زُمْرة المسْلمِينَ . زْمرةِ الحقّ والخيْرِ وأبْلَى بَلاءً حَسنًا فى نُصْرة الإسْلامِ .